بالفتاة «ليزا هو خلاكوفا» التي تشبه «جروشنكا» اللعوب، وبتهاونه في منع وقوع تلك الكارثة التي حلت بالأسرة؛ فأليوشا كان يحدث نفسه «يوشك حدوث أمر رهيب»[١٩] ما، ولكنه لم يتخذ احتياطات عملية كفيلة بمنع ما حدث بالرغم من أن الأب «زوسيما الراهب» قد نصحه بأن يخرج «إلى العالم» الذي يحتاج إليه أفضل من المكوث في الدير. كما يستأنسون أيضاً بموقف «أليوشا» من موت أبيه: إذ أنه «لم يذرف دمعة واحدة، ولم ينقبض أو يكتئب، في حين نجده يوم مات الأب «زوسيما» يختبىء خلف ضريحه ويذرف الدموع الحرى في صمت»[٢٠].

ومهما يكن من أمر، فإننا نجد في هذه الأحداث العامة ـ التي لا يمكن أن تعطينا صورة كاملة عما تزخر به «الإخوة كارامازوف» من مواقف ومعاني عميقة ـ لوحة موجزة عن العلاقات الإنسانية المفقودة، ليس بين الفرد والآخرين فحسب، بل بين الأب وابنه، وبين الأب وزوجته، وبين الأخ وأخيه.

وبالإضافة إلى هذه اللوحة نجد لوحات أخرى أشد فظاعة وأكثر قتامة في هذه الرواية، من مثل لوحة الصبي الصغير الذي يقتل رمياً بالرصاص على مرأى من أمه، ولوحة الأب الذي أمسك بابنته التي لم تتجاوز سن السادسة وانهال عليها بالسوط حتى كتم أنفاسها، وهي تصرخ وتنادي بصوت مختنق: «بابا، بابا، بابا الحبيب»[٢١]، وحين رفعت القضية إلى المحكمة أخذ محامي الأب الجلاد يصيح: «أب أدب ابنته، فما هذا إلا حادث مبتذل شائع من حوادث الحياة العائلية»[٢٢]، ولوحة الطفل الذي سجن ثم جرد من ملابسه في يوم شديد القر، وسلطت عليه كلاب ضارية تمزق جسمه على مرأى من أمه، لا لشيء إلا لأنه أصاب كلباً من كلاب الصيد أثيراً لدى أحد الجنرالات الأرستوقراطيين[٢٣]. ولوحة المرأة التي تنجب أبناء غير شرعيين ثم تقتلهم[٢٤]. ولوحة الممثلة التي تذبح عنق زوجة عشيقها الشرعية[٢٥].. إلى غير ذلك من اللوحات ا لبشعة التي نخجل من ذكرها في هذا المقام، والتي نجدها مبثوثة في «الإخوة كارامازوف» وفي غيرها من روايات دوستويفسكي.